

اللغة هوية أم ثقافة جدلية العلاقة بين الذات والآخر

١_ مدخل:

يُعدّ البحث في ماهية اللغة بوصفها هوية أم ثقافة نوعاً من الافتتان والمخاتلة يجعل الباحث يعيش لذّة الصراع على تخوم المنفلت والمحدّد باستقصاء المنطوق واللامنطوق، ولعلّه الأمر الذي يُدخل الباحث في دائرة تنفتح عند انغلاقها؛ لتشكّل دوائر من الأسئلة اللامتناهية التي تبدأ من الذات إلى الذات وهي تعانق الآخر؛ لتجد صورتها فيه وفق تصوّر قد يتطلّب ابتناء قانون تقعد فيه الآراء وتستنتق. لعلّ هذا الأمر لا يجد فرادته إلّا حينما تنصهر الأفكار في بوتقة الكلمات التي تحملها، ولعلّ هذا ما جعل عبد القاهر الجرجاني يرى أنّ النّظم هو ((تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض))^(١) وهذا يعني أنّ اللغة هي المكان الوحيد لمكمن السؤال عن الحفر في دلالات اللغة الهاجعة خلف حجب معانيها، وهذا هو الآخر لا يحصل إلّا عبر معاينة الإشارات والرموز التي تتشكّل منها اللغة وتبوح بها في آن: جسر ممدود بين الأنا والسوى وهو عالم تكوكبه الذّوات الباحثة عن آخرها، حيث يكون الدّخول إلى ليل المعنى الذي فيه يتمّ البحث عن سؤال الهوية وسؤال الثقافة والوشائج الموسومة بميسم اللغة، وحيث جدلية العلاقة بين المرسل والمتلقّي.

اللغة والهوية لا تنجزان خارج الفعل الإنساني، ولا تتحقّق ماهيّتهما بعيداً عن وجوده، بيد أنّ اللغة بتفردها وبواحدة كيائها تظلّ مجرد

محمد عبدالرضا شياع*

- قادمة من عالم الفلسفة، وهي لغويًا من قبيل المصدر الصناعي، فقد تمّ توليدها من النسبة إلى (هو) أو (الهو)، الذي هو في اصطلاح الفلاسفة (الغيب)، أو (الحقيقة المطلقة)، أو (الله).^(٥) وبعد الحقيقة المطلقة أصبحت تطلق على الحقيقة، حقيقة الشيء، حقيقة الإنسان أو غيره.^(٦)

من هنا توصل الباحثون إلى أنّ ((اللغة أقدم تجليات الهوية، أو لنقل: هي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان، إنّ اللسان الواحد هو الذي جعل من كلّ فئة من الناس جماعة واحدة، ذات هوية مستقلة، ويزداد الاهتمام بالهوية واللغة معاً، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخية في حياة الجماعات، وهي منعطفات أو مفاصل ليست من نوع واحد، فقد يكون منعطفاً أو مفصلاً حضارياً إيجابياً تصاعد الجماعة، أو تثب فيه نحو الحضارة والتقدم، وقد يكون سلبياً تتعرض فيه للانكسار، وتغزوها رياح التشتت والانطماس، وربما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير، في كلا الحالتين تبرز قضية اللغة، وقضية الهوية، وفي الغالب يتمّ الربط بينهما ويتماهيان إلى درجة أنّهما يكادان يصبحان شيئاً واحداً)).^(٧)

إنّ اللغة هي التي تميّز الشعوب فتمنحها هويتها وانتماءها الحضاري، من هنا فإنّ اللغة العربية هي مادة الشعر العربي، وهي التي حملت ديوانه إلى أقصى

أصوات وألفاظ من دون الأسلوب الذي يُعدّ كوناً من الصّور والمفردات التي بها يتشظى جسد الكاتب وتاريخه الشخصي حتّى ((تتكوّن تحت اسم أسلوب لغة مكتفية بذاتها لا تغوص إلّا في الميثولوجيا الشخصية والسريّة للكاتب، تغوص في تلك الفيزيقيا السفلى للكلام حيث يتكوّن أول زوج من الكلمات والأشياء، وحيث تستقرّ نهائياً التيمات اللفظية لوجوده)).^(٨) لكن أين تركز الثقافة في ظلّ هذه المفاهيم، وهي التي تبقى بعد زوال كلّ شيء؟^(٩)

٢- تأصيل المفاهيم:

قبل الإجابة عن هذا السؤال الإشكالي ينبغي لنا تحديد ماهية اللغة والهوية؛ ليتسنى لنا وضع الثقافة في هذا السياق أو إبعادها عنه. وكيف تتأسس جدلية العلاقة بين الذات والآخر، أي بين المرسل والمتلقّي في ظلّ هذه التحديدات؟ حيث قال ابن سيده: اللغة اللّسن، وحدها أنّها (أصواتٌ يُعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم). وقال غيره: هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وهي فعلة من لغوت، أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة، وقلة وثبة، لاماتها كلّها واوات. وقال الجوهري: أصلها لغئيّ أو لغوّ، والهاء عوض. زاد أبو البقاء: ومصدره اللّغوّ، وهو الطّرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به، وحذفت الواو تخفيفاً.^(١٠)

أما الهوية فهي كلمة تتمحور دلالاتها حول الذات والحقيقة والماهية، وهي مع هذه المرادفات - على الرغم من بعض الفروق التي تقوم على اعتبارات متباينة

الهوية كلمة تتمحور دلالاتها حول الذات والحقيقة والماهية.

مديات الوجود الإنساني، بعيداً عن كلّ مبالغة وإطلاق. فالشعر العربي كان هوية العربي، ولا أدري إذا كان هو اليوم كذلك، على الرغم من أنني أتمناه، إذ إنّ اللغة العربية مثلما كانت لازالت تقف في وجه العواصف العاتية مسجلة حضورها الكوني على الصعيد السياسي والإبداعي، لأنّ الشاعر ((ترجع عبقريته كلّها إلى الإبداع اللغوي))^(٨) وهذا يعني ((أنّ الشعر شعر بفضل بنيته، وليس بفضل مضمونه))^(٩) لأنّ القصيدة لا تفرّد إلّا بلغتها، فهي موطن الدهشة والانبهار.

قد تكون هذه القراءة مألوفة ومعتمدة في آن، لكن ما تحمله يعني أنّ الشعر ((هو اللغة في كليتها، وهو استجماع للطاقات الممكنة جميعاً في اللغة))^(١٠) أي ((يحتاج الشعر كلّ ما تتضمنه اللغة، بكلّ مظاهرها ووجوهها وعناصرها؛ إنّه لا يهمل ظلاً دقيقاً واحداً من الفرق في الكلمة اللغوية. وليس هناك مجال من مجالات الثقافة، باستثناء الشعر، يحتاج اللغة بكليتها... في الشعر فقط تكشف اللغة عن طاقاتها جميعاً لأنّ ما يتطلبه الشعر منها يبلغ أقصى هذه الطاقات))^(١١) وهذه إشكالية أخرى تندلق على محجّات السفر الراحلة إلى معاناة وتحديد الثقافة في سياق اللغة والهوية.

في ظلّ هذا التلاحم بين اللغة والهوية نبحت عن الثقافة بوصفها معطى وُلد داخل اللغة، وترعرع في وجودها، الأمر الذي نراه ماثلاً في لغتنا العربية التي

بين اللغة والهوية نبحت عن الثقافة بوصفها معطى وُلد داخل اللغة.

تنجز وجودها بين الخاصّة والتّعدّد، الخاصّة هي هوية الإنسان العربي، والتّعدّدية هي الأسس الأولى التي نهضت عليها القصيدة العربية، ((فحين نتمقّ في دراسة هذا الشعر يتّضح لنا أنّه المثلّ الأولي لهذه التّعدّدية، أي لما يمكن أن نسمّيه بديمقراطية القول: هوية لغوية واحدة تفصح عن نفسها تعدّدياً باتجاهات فنيّة فكرية متباينة حتّى درجة التّعارض أحياناً. وكان هذا التّعارض - التّعدّد مؤسّساً، أي أنّه يشكّل جزءاً عضويّاً من البنية الاجتماعية: الفكرة، والفكرة الأخرى المباشرة، هما معاً دون أن تنفي إحداها الأخرى، قوام المغامرة اللغوية - الشعرية))^(١٢).

٣_ الإشكالية:

في ضوء ما تقدّم تُفرض أسئلة إشكالية بها تنجز الإجابة عن عنوان هذه الورقة البحثية لتجسّر العلائق بين ما فات وبين ما هو آت هنا والآن:

(١) كيف تبني اللغة العربية وجودها في ظلّ الصراع الكوني حول هوية الثقافة وثقافة الهوية؟

(٢) ما دور المرجعيّات السياسيّة والثّقافيّة في استثمار حيوية اللغة العربيّة وتجليّة وجودها في ظلّ هذا الصراع؟

(٣) إلى أيّ مدى تسعى المؤسّسات الثّقافيّة في تفعيل حضورها اللغوي لتشيّد حضور الذات في مقابل حضور الآخر؟

(٤) هل اللغة العربيّة في العصر المعلوماتي هي لغة إرسال أم لغة استقبال أم هي هذا وذاك؟

٤_ وعي الآن:

بما أن اللغة بمفهومها المعاصر ((ليست زادا من المواد بقدر ما هي أفق، أي أنها حدّ ومحطة في آن))^(١٣) وهي رؤيا للعالم وتبصر فيه بوصفها إرثاً حضارياً يفرض وجوده زمانياً ومكانياً، فإن استخدامها هو الذي يضع هذا التحديد في سياقه الصحيح؛ لذلك تظلّ فاعليّتها مرتّنة بفاعليّة المجتمع الذي يمارس وجوده فيها وبها، كونها أيضاً نظاماً اجتماعياً يحمل بصمات المجتمع الذي ينوجد فيه؛ لذلك فإنّ فاعليّة اللغة تتطلّب وعياً حقيقياً بوجودها. وهذا الوعي لا يمكن أن يتجلّى إلاّ عبر التّشاكل والتّماثل بين الأنا والسّوى، بين خطاب الذات وخطاب الآخر الذي تحدّده آليّات تبادل الحوار وإن لم يكن متماهياً، وهنا تتجلّى الإجابة عن واحد من الأسئلة الإشكاليّة التي تبحث في صيرورة اللغة والهويّة والثّقافة، أفانيم ثلاثة أتتحقّق بالاتّصال أم بالانفصال؟

٥_ تجسّدات التعريب:

أرى أنّ الإجابة عن هذا السّؤال تقودنا _ في وضع لغتنا العربيّة _ إلى معاينة تاريخ التّفاعل بين هذه اللغة وبين اللغات الأخرى في محطّات سفرها البعيد. تضاريس موشومة بتنهدات الرّحلة في السّفر العربي الإسلامي، حيث اللقاء بما يصطلح عليه بالتّعريب الذي يجعلني أتساءل هل الهويّة تنوجد في الاسم أم في المسمّى؟

لعلّ مصطلح التعريب هو الآخر يحمل إشكاليّة

إنّ فاعليّة اللغة تتطلّب وعياً حقيقياً بوجودها.

التّحديد في ذاته نظراً لالتباس ماهيّة صيرورته، إذ لم يتفق الباحثون على تعريف جامع مانع له، ولم يتوصلوا إلى تحديد مرجعيّته ليتّم تحديده في ضوئها؛ لأنّ التعريب كلمة ذات طبيعة مرنة، بيد أنّ هذه المرونة قد توصله إلى حد التناقض والالتباس انطلاقاً من الفهم اللغوي له، حيث نقرأ في المعاجم اللغويّة: ((الإعراب والتّعريب: الفحش. والتّعريب، والإعراب، والإعرابة، والعرابة، بالفتح والكسر: ما فتح من الكلام. وأعرب الرّجل: تكلم بالفحش. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾، هو العرابة في كلام العرب. قال: والعرابة كأنّه اسم موضوع من التّعريب، وهو ما قبح من الكلام...)).^(١٤)

بيد أنّ هذا اللفظ قد تطوّر في معناه فبات يعني تهذيب المنطق وتنقية الكلام من اللحن لاسيّما بعد أن اتّسعت رقعة الدّولة الإسلاميّة واختلط العرب بالأعاجم، وبذلك نكون في مواجهة تصوّر آخر الذي يرى أنّ التعريب يعني اقتراض ألفاظ من لغات أجنبيّة ليس لها مقابل في العربيّة، وهو أمر فرضه التّفاعل بين العرب وسواهم من الأقوام الأخرى، المعنى الذي نقرؤه في أشعار الجاهليّين، حيث يقول طرفة بن العبد^(١٥):

مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحَكَ كَأَسَا رَوِيَّةً

وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنَى فَاغْنِ وَازِدِدْ

وقوله أيضاً^(١٦):

التفاعل بين العرب وسواهم لا يقوم على
العلاقة التفاعلية بين المركز والمحيط،
بل هي علاقة قائمة على المنح والأخذ.

في ظلّ التّوهج الإسلامي حيث بات القرآن الكريم
النّصّ المركزي للغة العربيّة التي نالت هي الأخرى
هذه المركزيّة بفضل هذا الكتاب المقدّس الذي انداح
نوره في كلّ اتّجاه ليضيء مكان الرّوح في التّخوم
البعيدة، ويستدعي في الآن ذاته المتمكّنين في هذه
الأماكن إلى حضرته؛ لينظروا بعيون الشّغف الوالهة إلى
وهج حروفه واستجلائها مبنى ومعنى، بيد أنّ اللحن
هو الذي سيقود الباحثين إلى تفعيل مصطلح التعريب
وإن لم يكن مطروحاً؛ تفادياً للخطأ وتهذيباً للغة وخلقاً
للتفاعل الذي به تحيا العقول والقلوب، فكان الإعجام
واحداً من هذه المحاولات على يد أبي الأسود الدؤلي
(٦٩ هـ) ثمّ وضع نقاط الإعجام على يد نصر بن
عاصم (٨٩ هـ)؛ ليكون السّبيل ممهّداً للخليل بن أحمد
الفراهيدي (١٧٥ هـ) ليشكّل حروف اللغة العربيّة
ويضع قواعد ضبط حركاتها. (١٧)

لقد أضحت لغة القرآن هي اللغة المعياريّة التي بها
تمكّنت اللغة العربيّة من مدّ أجنحتها الملوّنة بريشة
الإبداع على الآفاق القصيّة، معلنة ابتداء أسس التّعديد
اللغوي الذي يُعدّ التعريب الجذبي Centripetal
Arabization أي التعريب الذي يتّجه من الهوامش
اللغويّة للغات واللهجات المجاورة نحو المركز اللغوي
العربي (لغة قريش). (١٨)

وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَأَسَا مُرَّةً

وَعَلَا الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشَّقِيرِ

لفظة الكأس هي لفظة معرّبة نجد مثيلاتها في
القرآن الكريم حامي اللغة العربيّة وضامن بقائها كصرات
وسندس وإستبرق وهكذا من هذه الألفاظ التي يرى
الباحثون أنّها ذات أصول فارسيّة.

لم يطلق الجاهليّون على هذه الألفاظ الواردة في
أشعارهم مصطلح تعريب، بل كانت تقع تحت معنى
الاقتراض؛ لأنّ مثل هذه الممارسة اللغويّة ظاهرة
شائعة وقتئذ، ولم ير العرب مشاحة في استعمالها، بعيداً
عن أي تعصّب شوفيني أو شعور بالدويّة أو إحساس
بالصّراع الحضاري، على الرّغم من أنّ التفاعل الثقافي
بين العرب وسواهم كان مؤسّساً على الطّابع الشّفوي
المرتتهن بحياة التّنقل والتّرحال.

يجد الملاحظ المختص عبر القراءة المتأنّية لتلك
الحقبة التّاريخيّة أنّ التفاعل بين العرب وسواهم لا
يقوم على العلاقة التفاعليّة بين المركز والمحيط، بل
هي علاقة قائمة على المنح والأخذ، فمثلما أخذ العرب
من الفرس وسواهم، أخذ هؤلاء من العرب أيضاً، ذاك
ما نراه ماثلاً في تفعيلات الشّعر الجاهلي التي وسمت
القصيدة الفارسيّة الفهلويّة بميسمها، بالإضافة إلى
أسماء المنتجات التي كانت منتشرة في هذه الفضاءات
عبر التّبادل التجاري فيما بينها، وهذا هو موضع الدّرس
النّقدي المقارن في هذا السّياق الذي يكشف عن مواطن
التّأثير والتّأثر المنضبط بالعلائق التّاريخيّة بين الشّعوب.
تجلّت العلامة الفارقة للتعريب لغة واصطلاحاً

٦_ التثاقف:

لم تكن اللغة العربية في موضع المرسل فقط، بل كانت في هيئة المتلقي أيضاً، وهذا دليل حيوية وفاعلية حيث ظهرت الأنواع الأدبية والموضوعات الفنية في النتاجات الإبداعية العربية التي لم تكن مألوفة من قبل، وإنني لأرى بأن هذه الحالة تجسد نوعاً من التثاقف الذي يمكن أن تُبنى الثقافة في ضوءه؛ فيتجدد السؤال الإشكالي حول جدلية الاتصال والانفصال بين اللغة والهوية والثقافة، ذلك ما تمثل حقاً في التاريخ العربي الإسلامي إبداعاً أدبياً ونسقاً سياسياً تجسد في الأغراض الشعرية وموضوعاتها، وفي تعريب الدواوين وإداراتها؛ لتكون اللغة العربية مركزاً للغات مختلفة تتكلمها الشعوب والأعراق التي اتخذت الإسلام ديناً وعقيدة.

٧_ المتغيرات:

من هنا نلاحظ أن التعريب قد بدأ يكتسب معاني مختلفة عما كان عليه في السياقات اللغوية ودلالاتها المتعددة؛ ليصبح التعريب في هذه الحالة نواة لابتناء ثقافة تتوحد في ظلها الهوية والثقافة، لكن هل سارت الأمور على وتيرة واحدة في محطات السفر المتعددة التي تمتد وآفاق تاريخ العرب والمسلمين في مستوياته اللغوية المترعة بأسرار الخفاء. أي إذا كان النص اللغوي

التعريب نواة لابتناء ثقافة تتوحد في ظلها الهوية والثقافة.

معباً بأسراره فهل التاريخ يحمل هذه الأسرار أيضاً؟ هذا ما نحاول أن نعاينه اليوم في ظل العصر المعلوماتي ومدى تأثير هذه الوسائل المعلوماتية في اللغة ومكانتها بعد أن تعرّضت إلى تراجع نتيجة التراجع السياسي العربي في فترات مختلفة. لعل أبرزها مرحلة الاحتلال العثماني التي سميت بالرجل المريض، ومن ثم تكالب القوى الإمبريالية العالمية على هذه الأمة التي تُعد لغتها هويتها الكبرى، حيث الانتقال من مرحلة التصالح والتفاعل إلى مرحلة التصارع والتصادم؛ لأن جدلية العلاقة بين اللغة والهوية مهورة بجدلية العلاقة بين المرسل والمتلقي، وهي بإيجاز دقيق علاقة اللغة بالحياة التي باتت مطوّقة بوسائل الاتصال المشيدة وفق خطاطة التواصل التالية المعتمدة بتصوّرات رومان جاكبسن والموشومة بوهج نظرية التواصل ووظائف اللغة^(١٩):

السياق

الباث----- الرسالة----- المتلقي

التلافي

الشفرة

هذه الخطاطة ترتّهن إلى ستة أنماط ذات طبيعة أدائية لغوية تعيننا أربعة منها في هذا المقام تحدّد في ضوءها أنواع الاتصال، وهي^(٢٠):

(١) الذاتي. (٢) الشخصي. (٣) الجمعي. (٤) الجماهيري.

كل هذه المعطيات تتجلى في وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة كالصحف والإذاعات والشبكة العنكبوتية، بالإضافة إلى أشرطة التسجيل بأنواعها

جدلية العلاقة بين اللغة والهوية ممهورة بجدلية العلاقة بين المرسل والمتلقي.

المختلفة، والتي لا يمكن لها أن تتحقق خارج فاعلية اللغة، من هنا نطرح على أنفسنا ثانية الأسئلة التي تحمل الإجابات في ابتنائها، وهي:

(١) أين تقع فاعلية اللغة العربية في استراتيجية المركز والمحيط؟

(٢) كيف تتجلى فاعلية اللغة العربية في الإعلام العربي؟ وكيف يتجلى موقعها في مواجهة اللغات الكونية الفاعلة في الإعلام العالمي الذي يمتلك ناصية التكنولوجيا وأسباب توجيه الخطاب؟

(٣) هل تمتلك اللغة العربية خصوصية تجعلها تعيش لذة العزلة والانفصال، أم هي جزء من المنظومة اللغوية الكونية على الرغم من فرادة هويتها؟

كل هذه الأسئلة تضعنا أمام فاعلية الإعلام العربي المطالب بتجسير العلاقة الناجزة بين الجماهير العربية وخطابها اللغوي؛ لتحقيق معرفة الإنسان العربي بواقعه المعيش في عالم مترع بوسائل الاتصال التي تؤسس على ديناميكية المعرفة، وهذا لا يتحقق بعيداً عن الوعي اللغوي، إذ ((تكتسب اللغة هويتها بالتعدد وبالاختلاف في تناول الموضوعات التي تعالج جوهر الإنسان وقضاياها المتحققة بوجوده))^(٢١) فتكون الاستجابة الواعية من المواطن العربي، لأن ((الاستجابة فعل إدراكي حاسم ينقل التجربة الحسية إلى الوعي؛ فتصبح

التجربة الحسية جزءاً من الشعور بالذات، وبهذه الطريقة نتمثلها. يحدث التمثل دائماً بصورة آلية؛ وبذلك غالباً ما يكون خاطئاً، فتشكيلة من الأضوية على طريق رئيس قديم تمثيلها، أولاً، إمّا كحافلة متوقفة على مقربة أو كمدينة بعيدة. إن التمثل فعل حاسم، وبالنتيجة فإن قيمة صدقه قد تحددها، أو لا تحددها، أنواع مختلفة من التأويل اعتماداً على الحافز الذي يحدثه التمثل الأصلي)).^(٢٢) لكن عملية الاستجابة المحفوفة بالمخاطر تتمثل في الاستلاب المقنع الذي تقوم به وسائل الإعلام العملاقة التي تسعى إلى ملء الفراغ، ومصادرة وعي المتلقي بلغة تحط من لغة الهوية، وتصادر ثقافة الآخر بثقافة لا يتسنى لها أن تكون البديل.

٨_ التركيب:

بعد هذه المتابعة تتضح دلالة اللغة وأبعاد الخطاب اللغوي الذي لا يتحقق بعيداً عن تفاعل الذات والآخر، لتُنجز استراتيجية التعلق بين اللغة والهوية، ومن ثم تتجلى طبيعة الثقافة في ضوء هذا التعلق، وعليه نرى:

(١) تكف اللغة أن تكون أداة توصيل فقط، على الرغم من أن التواصل هو واحد من وظائفها الكبرى؛ لأنها بحر تتراءى على سطحه العلائق الإيديولوجية والفكرية والاجتماعية، أفق يعانق آفاقاً أخرى.

الإعلام العربي مطالب بتجسير العلاقة الناجزة بين الجماهير العربية وخطابها اللغوي.

تأخذ المعرفة شكل حوار تكون فيه (أنت)
مساوية لـ(أنا) ولكنها في الوقت نفسه
مختلفة عنها.

وهذه المستويات تعلن عن وجود ثلاثة أنواع من العلاقات الإنسانية^(٢٣): يتألف الأول من إعطاء النصّ اللغوي نوعاً من الوحدة باسم الذات: حيث يُسقط القارئ الفاعل من نفسه على النصّ اللغوي الذي يقرؤه ويعمل على إيضاح فكره والتّمثيل عليه. أمّا النوع الثاني فينتسب إلى (نقد التّماهي) حيث لا يزال التّخصّص أمراً مفترضاً. ليس للقارئ أي هويّة خاصّة إذ إنّ هناك هويّة واحدة فقط هي تلك الخاصّة بالمرسل الذي تخضع رسالته للفحص، ومن ثمّ يصبح القارئ متكلماً باسمه، إذ نشهد نوعاً من الالتحام المنتشي المليء، وبالتالي فإنّنا نصادف مرّة أخرى نوعاً من إيجاد الوحدة. النوع الثالث يتجلّى عبر الحوار الذي تبقى فيه كلّ من هويّة الذات والآخر ثابتتين وأكيدتين، فليس هناك اندماج ولا تماه، حيث تأخذ المعرفة شكل حوار تكون فيه (أنت) مساوية لـ(أنا) ولكنها في الوقت نفسه مختلفة عنها، وبذلك، وبالرّغم من تفاعل الذات والآخر، فإنّ اللغة تظلّ محتفظة بهويّتها التي لا يمكن أن تسجل حضورها الإنساني بعيداً عن الفعل الثقافي الذي نحن مطالبون بتفعيله؛ لتبقى اللغة العربيّة مركز جذب وإشعاع، تحتفظ بمكانتها التي تستحقّ.

(٢) لا يمكن أن تتشكّل هويّة مجتمع ما بمعزل عن الفاعليّة اللغويّة لذلك المجتمع، والأمر كذلك بالنّسبة للمجتمع العربي الذي تكون فيه اللغة ثقافة وهويّة في آن، وهذا لا يتحقّق ما لم يكن هناك فكر ومعرفة يعمّقان هذا التّماثل بين اللغة والهويّة.

(٣) يُعدّ الانفتاح على الآخر والتّفاعل معه عنصراً بنائياً من خلاله تنوجد الثقافة التي تتجلّى في اللغة وباللغة، وفي نظري يكون التعريب واحداً من عناصر الانفتاح على الآخر، ذاك ما عايناه في سفر تاريخ العرب والمسلمين الذي مارست فيه اللغة العربيّة حركتين: الأولى نحو الخارج تُهدي الآخر ثمارها، ويمكن التّمثيل لها في قصص الحبّ والفروسيّة التي انتقلت إلى أوروبا في العصور الوسطى، وفي المقامات التي أنتجت أدب الشّطّار El Picaresca الذي لم يكن مألوفاً لديهم، ناهيك عما أحدثه الغزل العذري في الأدب الفارسي الذي تحوّل إلى الأدب الصّوفي انطلاقاً من سلطة التّأويل، والأخرى نحو الدّاخل تستثمر فيها نتائج الآخر؛ لتتكامل معه متمثلة في التّنتاجات الشعريّة والسردية الحديثة.

(٤) يظلّ التعريب فعلاً ناجزاً لتحقيق الآخريّة التي تقدّم ثلاثة أنواع من مستويات القراءة والتّأويل، بهما نعر على خطّاطة التّشاكل بين اللغة والهويّة والثقافة،

لا يمكن أن تتشكّل هويّة مجتمع ما بمعزل
عن الفاعليّة اللغويّة.

الهوامش

- الطبعة العربية الثانية، ١٩٩٦م، ص: ١٣٢.
- ١١ المرجع نفسه، ص: ١٣٢-١٣٣.
- ١٢ أدونيس- النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ط. ١، ١٩٩٣م، ص: ١٤-١٥.
- ١٣ رولان بارت- الدرجة الصفر للكتابة، مرجع سابق، ص: ٣٣.
- ١٤ ابن منظور- لسان العرب، الموسوعة الشعرية، إصدار المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٣م، مادة (عرب). وانظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني- تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مادة (عرب).
- ١٥ الموسوعة الشعرية، مرجع سابق.
- ١٦ المرجع نفسه.
- ١٧ محمد حسين آل ياسين- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م، ص-ص: ٥٣-٥٧.
- ١٨ انظر: محمد عبدالله العبد اللطيف- الواقع والتقريب في تاريخ التعريب، <http://faculty.ksu.edu.sa/AI-Abdullatif/DocLib1/Forms/AllItems.aspx>
- ١٩ إدريس بلمليح- المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٢٢، ١٩٩٥، ص: ٣٨.
- ٢٠ لمزيد من التفاصيل انظر المرجع السابق، ص: ٣٨ وما بعدها.
- ٢١ محمد عبد الرضا شياح- بنية النص الممكن، شؤون ثقافية (مجلة شهرية تصدر عن أمانة اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام- ليبيا)، السنة الرابعة، العددان: ١٩/ ٢٠، أي النار- النوار، ٢٠٠٩م، ص: ٢٦.
- ٢٢ ديفيد بليتس، الافتراضات الأبنستمولوجية في دراسة الاستجابة، في جين ب. تومبكنز- نقد استجابة القارئ: من الشكلائية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة: حسن ناظم- علي حاكم، مراجعة وتقديم: محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص: ٢٣٩.
- ٢٣ انظر: تزيثان تودوروف- ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، مرجع سابق، ص: ١٩٨-١٩٩.

- * كاتب وأكاديمي عراقي. دكتوراه الدولة في الآداب. من مؤلفاته: - تجليات الذات الكاتبة في حرارة السؤال الشعري. - فيديريكو غارثيا لوركا وعبد الوهاب البياتي: دراسة في التناص. - الخلفية النصية الإسبانية والشعر العربي المعاصر: بحث في التفاعل النصي. نشر عشرات المقالات والأبحاث في الصحف والمجلات العلمية والدوريات المحكمة.
- ١ عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز، تحقيق: أحمد مصطفى المراغي، المطبعة العربية، القاهرة، ط. ٢، (د.ت)، ص: ٤٧.
- ٢ رولان بارت- الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد براءة، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الرباط، ط. ٣، ١٩٨٥م، ص: ٣٤.
- ٣ يُنسب إلى إدوار هيريوت E. Herriot مقولة إن ((الثقافة هي ما يبقى عندما يتم نسيان كل شيء)). انظر: محمد عابد الجابري- تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. ٥، ١٩٩١م، ص: ٣٨.
- ٤ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت)، مادة (لغو).
- ٥ محمد عابد الجابري- الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ٢ / ٨٢١.
- ٦ انظر: فيصل الحفيان- العلاقة بين اللغة والهوية، موقع حضارة الكلمة، شبكة الألوكة.
- ٧ المرجع نفسه.
- ٨ جان كوهن- بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٨٦م، ص: ٤٠.
- ٩ المرجع نفسه، ص: ٤١.
- ١٠ تزيثان تودوروف- ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

